الأنباء
الجمعة 28 نوفمبر 2014

بين الجمال والوقار والجلال..

قصة كسوة الكعبة

كسيت الكعبة المعظمة لأول مرة على يد حاكم اليمن في أواخر القرن الرابع وبداية الخامس الميلادي. الملك الحضرمي «أبو كرب أسعد تُبّع الحميري» بسبب انه رأى في المنام أنه يكسو البيت، فكساه بالخصف «مجدول الخوص مع حبال الليف من النخل» ثم كساه بملابس يمنية منها المعاقر والملاء والوصائل والأنطاع (جلود الحيوانات) ومعاضد وبرود.

ولم تكن الكسوات في هذه الفترة تصنع خصوصا للكعبة ولكنها كانت قطعا من نسيج وجلود طبيعية تهذب وتسدل على الكعبة، أي انها كانت كسوات شتى، وجللت بدنة الكعبة بحبرات وبرود وأكسية، وغير ذلك من المنسوجات التي كانت تستحضر أو تجيء من اليمن، اضافة إلى ما كان يهدى من خز وحبرة وأنماط، حيث يعلق عليها وتربط قمة الكسوة على الحائط من الداخل (داخل الجدار) حيث كانت الكعبة وقتذاك من دون سقف، ثم تسدل الستارة على جدار الكعبة من الخارج. ولم يكن لها نسيج خاص ولا لون مميز. وفي رواية منقولة عن أم زيد بن ثابت: «انها شاهدت مطارق خز خضراء وصفراء وكرارا وأكسية الأعراب، وشقاق شعر (نسيج من الشعر).

عادة إسلامية

بعد ظهور الاسلام أقر الرسول ﷺ كسوة الكعبة فأصبحت عادة اسلامية، حيث خطب في الناس يوم عاشوراء وقال ما معناه «إنه يوم تنقضي فيه السنة وتستر فيه الكعبة وترفع فيه الأعمال. واستمرت الكعبة تكتسي في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا وامتد ذلك ليشمل العصور المتعاقبة الأموي والعباسي والفاطمي والمملوكي والعثماني، وصولا إلى العصر الحديث السعودي الحالي.

كانت الأكسية توضع فوق بعضها وتترك حتى تبلى بمرور الوقت، كما لم يكن لها جهة مسؤولة عنها، وبعضها كان يبدل دون وقت محدد أو معين، وأهديت لها كسوات مختلفة مثل النمارق العراقية الميسانية.

هذا، وقد قامت قريش في الجاهلية بكسوة الكعبة بعد البناء الخامس للكعبة آخر مبانيها في الجاهلية، وكانت الكسوة حبرات يمانية ووصائل، وقد ذهب قصي بن كلاب الى فرض قدر من المتاع أو المال للمساهمة في كسوة الكعبة. ثم صارت تكسى من مال أبو ربيعة بن المغيرة المخزومي عاما، ومن كل قريش العام التالي، وكان يأتي بالحبرة من بلاد الجند اليمنية، وقد سكمه قريش «العدل» بسبب أنه فعل ذلك معادلا لفعل قريش مجتمعة.

في مصر

كل المواد كانت بسيطة ومعظمها من صنع محلي أو مصري أو يمني، وقد كساها خالد بن جعفر بالديباج من لطيمة أصابها في الجاهلية ووجد بها الديباج الذي أهداه إلى الكعبة المشرفة.

عام الفتح كسا الرسول الكعبة بعد احتراق آخر كسوة للمشركين، وقد قال الماوردي: إن العرب في الجاهلية كسوها الانطاع (جلود) ومن زمن النبي ﷺ كسيت الكعبة بالثياب اليمنية، وفي عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، فقد كسوها القباطي من مصر (نسيج خاص) أما كيس مفتاح الكعبة فيرجع إلى عصر النبي ﷺ حيث رفع مفتاح الكعبة بيده، مشيرا إلى عثمان بن طلحة قائلا «ها يا عثمان غيبوه» وكان ذلك سببا لصناعة الكيس لحفظ المفتاح وتغيبه عن الناظرين.

مهمة الخلفاء

كساها النبي الثياب اليمنية ثم كساها كل من عمر وعثمان بالقباطي من مصر. الخلفاء أبو بكر وبداية حكم عمر رضي الله عنهما كسيا الكعبة دون تحديد نوع الكسوة، إلا أنها استقرت كسوتها بالقباطي من مصر. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول خليفة حدد مكان صنع الكسوة وصرف عليها من بيت مال المسلمين أي انه خصص لها مصدرا ماليا للصرف عليها وكان يكتب فيها إلى مصر لتحاك فيها واستمر ذلك في عهد عثمان رضي الله عنه، بذلك أصبح أمير المؤمنين مسؤولا عن كسوة الكعبة وأصبحت مصر منذ عهد عمر تصنع الكسوة واستمرت كذلك لفترة طويلة من الزمن.

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه استمر يكسو الكعبة بقباطي من مصر والثانية ببرود من اليمن. أما في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد لاحظنا عدم ورود ذكر الكسوة بسبب الفتنة وقتذاك وخروج مصر من نفوذه، وهو البلد الذي كان يصنع الكسوة.

العصر الاموي

انتقلت المسؤولية إلى الخليفة نفسه واستمرت صناعتها في مصر. وجعل معاوية للكعبة كسوتين: أولاهما يوم عاشوراء وكانت من الديباج الخسرواني وكان أهل قريش يضيفون اليها ازارا، أما الثانية فكانت في آخر شهر رمضان المعظم وهي من القباطي المصري وكان القريشيون يضيفون اليها القمص (قمصان) من الديباج يوم التروية.

تخللت الفترة الاموية تلك المدة التي سيطر فيها عبدالله بن الزبير على مكة فكسا الكعبة بالقباطي وفي عهده ظهرت الكتابة على كسوة الكعبة وكتب على الديباج «لعبدالله أبي بكر أمير المؤمنين كساها عبدالله بن الزبير»، ولكن بعد هزيمته أمام الأمويين جاء الحجاج بن يوسف الثقفي وداوم على كسوتها بالديباج.

وكانت الكسوة تعرض في المسجد النبوي أولا ثم تطوى وترسل إلى الكعبة واستمر ذلك طوال العصر الأموى. وأحضر لها الوليد بن عبد الملك طيبا ومجمرة وكسوة من ديباج عند زيارته للكعبة، أما هشام بن عبد الملك فقد كساها بديباج غليظ والأمويون عموما كسوها حللا وفوقها الديباج وارتقت خامة الكسوة. وقيل إن الكسوة كانت تسافر من مصر إلى دمشق أولا ومنها مع قافلة الحج الشامي إلى المدينة المنورة ثم تنقل إلى مكة لتسدل على الكعبة في يوم عاشوراء أو أواخر شهر رمضان، وفى العصر العباسي تم الاهتمام بصناعة الكسوة مع الحرص على أن تكون من أجود الأنواع وحياكتها في أشهر دور الطراز (نسيج الطراز) في تنيس وتونه وشطا بمصر. وخاصة الخليفة المهدي حيث كساها القباطي من دور طراز تنيس وكتب عليها طراز نصه «بسم الله بركة من الله مما أمر به عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله عام 159 هـ» حيث أمر المهدي بازالة كل الكسي القديمة بعد معاوية وطلي جدران الكعبة من الداخل والخارج بالمسك والعنبر وكسيت 3 كسوات (قباطي/ خز/ ديباج). وفي سنة 162 هـ كساها المهدي بكسوة صنعت في دار طراز تنيس بمصر.

زاد الاهتمام في عهد هارون الرشيد حيث كساها بكسوة من دار طراز تونه قرب تنيس وشطا قرب دمياط بمصر وفي العام التالي كساها هارون بالقباطي. أما في عصر الخليفة المأمون فأصبحت الكسوة ثلاث مرات في عام 206 هـ /822م.

الأولى: من الديباج الأحمر يوم التروية.

الثانية: من القباطي يوم هلال رجب.

الثالثة: من الديباج الأبيض يوم 27 رمضان.

(المأمون هو أول من كسا الكعبة بالديباج الأبيض)

زيدت الإزارات أيام المتوكل وكسيت الكعبة من الداخل وذلك لأول مرة عام 242هـ إضافة إلى تجديد رخام الكعبة وآزرها بالفضة وألبس حوائطها وسقفها بالذهب وكسا اساطيتها بالديباج واستمرت كسوتها بالديباج طوال الدولة العباسية وزيد على الكسوة نصوص أخرى هي «حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه».

ومع مجيء الفاطميين إلى مصر 358هـ/969م قام المعز بكسوة الكعبة بالديباج الأحمر والابيض والأصفر والأخضر والقباطي وفي سنة 362 أرسل المعز «شمسة» علقت على وجه الكعبة.

وكانت الكسوة مربعة الشكل نقش على حافتها الآيات التي وردت في الحج.

العزيز بالله أرسل كسوة للكعبة عدة مرات وكذلك الحاكم بأمر الله كساها خمس مرات وفي احداها هجم العربان على كسوة الكعبة ونهبوها وكسيت باللون الأبيض على يد الخليفة الظاهر والخليفة المستنصر بالله وكان على الكسوة تطريز في موضعين.

في العصر المملوكي

أما في العصر المملوكي فكان الظاهر بيبرس أول من كساها من سلاطين المماليك. وسير قافلة للحج عن طريق البر وجهز معها كسوة الكعبة المعظمة وحج معها. وقدم سلاطين المماليك الكثير من الكسوات.

قدم الناصر محمد الكثير من الكسوات أما الصالح بن اسماعيل بن محمد بن قلاوون فأوقف 3 قرى في محافظة القليوبية بمصر للصرف منها على كسوة الكعبة وكان اول من فعل ذلك وعين ناظرا لدار الكسوة واستمرت جهود سلاطين المماليك في صنع الكسوة برقوق وبرسباي وجقمق الذي صنع كسوة لحجر اسماعيل سنة 852 هـ.

وكان جهد قايتباي والغوري. والأخير صنع كسوة لمقام ابراهيم جهدا كبيرا. أما طومانباي آخر المماليك فقد أرسل الكسوة سرا إلى ميناء الطور قبل أن تسقط الدولة المملوكية بعد معركة الريدانية واعدام طومانباي على باب زويلة بالقاهرة.

تمكن العثمانيون من العالم العربي بخلاف ممتلكاتها في جهات أخرى واستمرت كسوة الكعبة تصل إلى مكة المكرمة التي صنعت في مصر فترسل إلى الآستانة ثم مكة المكرمة.

عند هذا الحد ثبت الكثير من وضع الكسوة فقد تحددت لها مواعيد معلنة لإلباس الكعبة بها وأصبح هناك مسؤول عنها وغالبا كان الخليفة نفسه ورصدت لها الأموال للصرف عليها وأصبح لها ناظر وتم تحديد 10 قرى في مصر وقفا خاصا بها وتحددت لها الأنواع الفاخرة من الأنسجة.. وزينت بالخطوط العربية الرائعة.

انتقلت صناعة الكسوة إلى اماكن جديدة حيث صنعت في الآستانة وثبت موقع صناعتها في مصر وصارت ترسل من مصر إلى الآستانة ثم مكة.. كما كانت ترسل من مصر إلى دمشق ثم إلى مكة وأحيانا كثيرة من مصر مباشرة.. ورحلة المحمل الشريف من القاهرة إلى مكة قصة أخرى.

ولكن الأمر تبدل وثبت بعد إقامة المملكة العربية السعودية مصنعا كبيرا لكسوة الكعبة في جدول أمام وزارة الحج المكرمة.. ينتج الكسوات ويلقي السعوديون بثقلهم في صناعتها مالا وجهدا.

بعد ظهور الاسلام أقر النبي ﷺ كسوة الكعبة فأصبحت عادة إسلامية

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول خليفة حدد مكان صنع الكسوة وصرف عليها من بيت المال

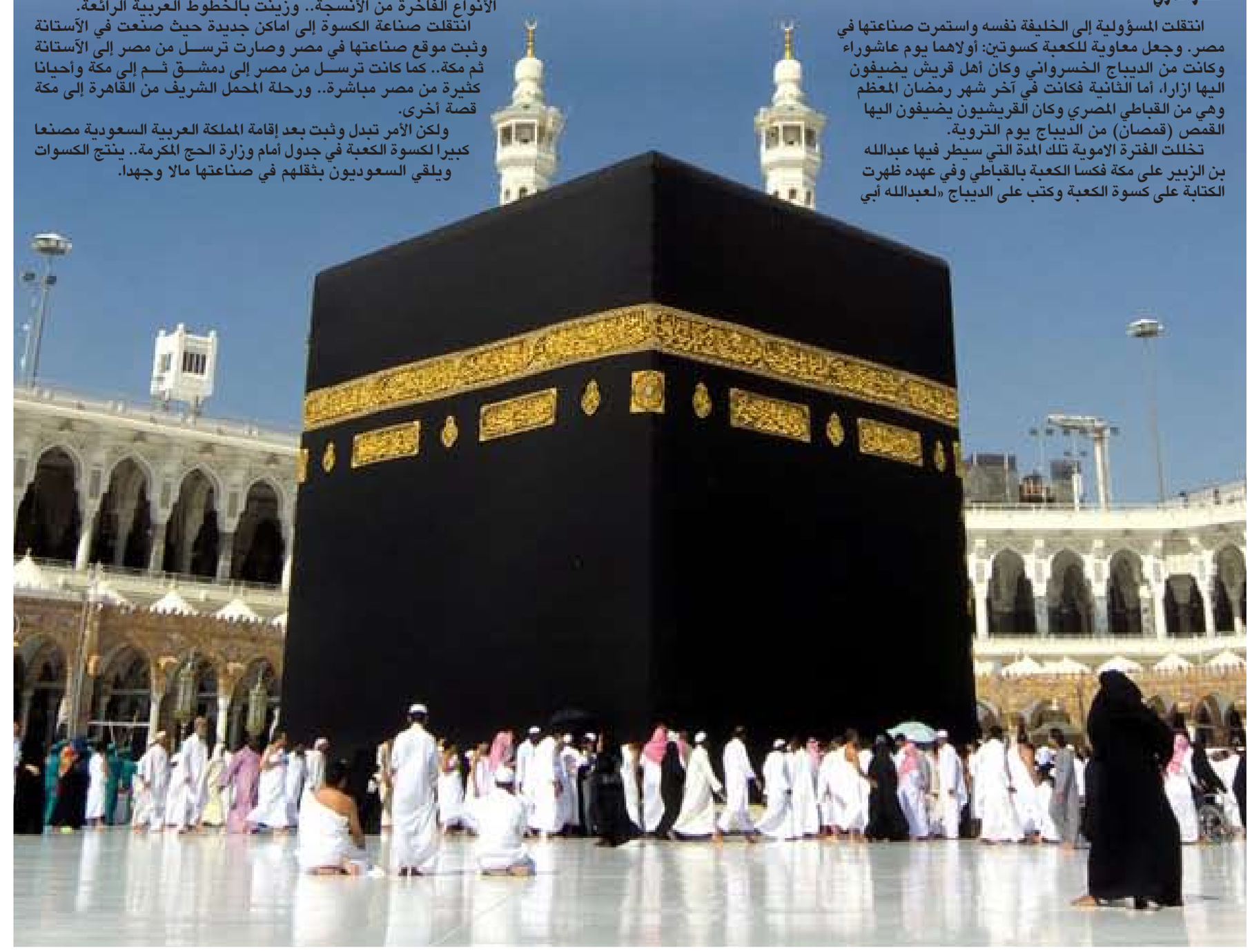

للتواصل

الإيمان صفحتان اسبوعيا تصدران كل يوم جمعة

- لمقترحاتكم وآرائكم يرجى التواصل معنا عبر الايميل: Lailaelshafie1@hotmail.com
- يرجى مراعاة عدم إلقاء الجريدة في سلة المهملات لما تحتويه من آيات قرآنية.

● من إعداد: ليلى الشافعي

خواطر

د. عجيل النشمي

التآلف بين مُقومات الحضارة

حضارات الدنيا التي سادت ثم بادت قامت كلها على القوة والتسلط والظلم، وما حضارة الناس اليوم من هذا ببعيد، فقد كان الاستعمار ـ بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الظلم والجبروت ـ هو طليعة هذه الحضارة، حضارة قامت على انقاض الدين، واعتبرت الدين عدو العلم، يتناقضان ويتنافران، ولا يجتمعان، فالحضارة اليوم تحمل أسباب انهيارها في جوفها، وعلى ظهرها.

إن حضارة الإسلام وحدها التي اعتبرت الإيمان والعلم والعمل شيئا واحدا، لا ينفك أحدها عن الآخر، فالإيمان محضن العلم، والعمل نتيجة لهما، وعلى هذا التآلف والاندماج قامت حضارة الإسلام شامخة، لا غرابة فيها أن يكون الفقيه هو الطبيب، وهو الفلكي، وهو العالم، وهو المؤرخ، كما كان ابن رشد، وابن خلدون، والفارابي، وكثير غيرهم.

فالفقيه يعبد الله في مسجده وفي العمل، والطبيب ونحوه يعبد الله في معمله وفي المسجد. ولا غرابة أن كان المسلمون رواد العمل والتجربة العلمية، أو ما يسمى بالعلم التجريبي المنسوب ـ خطأ ـ إلى بيكون.

يقول العالم الغربي الكبير دوهرنج: «من أين استقى روجر بيكون ما حصله من العلوم؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس، والقسم الخاص من كتابه الذي خصصه للبحث في البصريات ـ هو في حقيقة الأمر نسخة من كتاب «المناظر» لابن الهيثم، وكتاب بيكون شاهد ناطق على تأثره بابن حزم».

وكما وحدت حضارة الإسلام بين العلم والإيمان، فإنها جمعت في الوقت ذاته بين الدين والسياسة، فعقد الخلافة مبناه على سياسة الناس في أمور دينهم ودنياهم. فالسياسة جزء من الدين، والدين حاكم على السياسة، يوجهها، ويضبط مسيرها، ويضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الحقوق والواجبات.

ومن هذه العلائق بنى الإسلام صروح نظامه الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والعلاقات الدولية، كل ذلك أساس بنائه الإيمان والعلم والعمل، وهذا سر طول عمر حضارة الإسلام، وتفردها من بين الحضارات بالقبول، رضا وطواعية من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، فلم تشعر الشعوب بالأمن والعدل والمساواة إلا في ظل هذا الدين، وهذا الملحظ أعلن عنه كثير من المؤرخين، وشهادة الأغيار أو الخصوم أبلغ في البيان.

يقول المؤرخ هدرج ويكم في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»: «إن الإسلام ساد، لانه كان خير نظام اجتماعي ـ وسياسي » ويقول ول ديورانت: «لقد ظل الإسلام خمسة قرون ـ من عام 700 إلى 1200 ـ يتزعم العالم كله في القوة، والنظام، وبسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح في الدين، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم، والطب...».

إن من يريد أن يفصل بين السياسة والدين، أو يدعي «أن لا سياسة في الدين» أو يضيف الإسلام إلى «اسلام سياسي» وغير سياسي، ونحو هذا من مصطلحات أبتدعت في هذا العصر إنما ينبئ عن جهل بحقيقة الإسلام، وبحضارة الإسلام وهديه ونظمه، أو قد يكون هذا عن علم يراد نكرانه أو طمسه ولراصد أن يقول: ان حال المسلمين اليوم شاهد على بطلان ما نسب إلى الإسلام من شمول الدين للسياسة، فلا نكاد نجد للإسلام نصيبا في سياسة الدول الإسلامية، فنقول: إن حال المسلمين هذه دليل عليهم، لا على الإسلام، بل هو دليل ناصع على أن عز المسلمين بإسلامهم الشامل، غير المبتور.

وإن من أهم أسباب ضعف المسلمين: فصلهم بين الدين والسياسة، وهذه حقيقة تاريخية ونصية، لا مناص منها، قررها القرآن الكريم من قبل: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام: 153، وقال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) طه: 124، وقررها النبي ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي».

ومن هذا ثبت تاريخيا: ان قوة المسلمين أو ضعفهم بمقدار توثق رباطهم بالإسلام: عقيدة وشريعة، أو عبادة وسياسة.

إن المسلمين اليوم ـ بل والعالم أجمع ـ بحاجة إلى حضارة الإسلام، فهي المنقذ الوحيد المؤهل لتحقيق التوازن بين الإيمان والعلم والعمل، وبغير هذا التوازن سيظل الناس في غي، وضنك في العيش والنفس، أو كما يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) طه، أي ضنكا في الدين، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج، لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.